[765] يجعل لي منهم فرجا عاجلا، فوا لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقي بهم أبدا). قال ابن أبى الحديد في شرح الكتاب ما نصه (ج 4، ص 54 - 55): (انظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها، واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه وتطاوعه سلسة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال: يوما واحدا، ولا التقى بهم أبدا. وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة، وتارة منصوبة، فان أرادوا قسرها باعراب واحد ظهر منها في التكلف أثر بين وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الاعجاز في القرآن، ذكره عبدالقاهر قال: انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة، الاولى منصوبة الفواصل، والثانية ليس فيها منصوب اصلا، ولو مزجت إحدى السورتين بالاخرى لم تمتزجا وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما، ثم ان فواصل كل واحدة منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية. ثم انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال: (ولدا ناصحا، وعاملا كادحا، وسيفا قاطعا، ور كنا دافعا) لو قال: ولدا كادحا وعاملا ناصحا وكذلك ما بعده لما كان صوابا ولا في الموقع واقعا فسبحان ا من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ؟ ! أن يكون غلام من أبناء عرب مكة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الالهية من أفلاطون وأرسطو، ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والاداب النفسانية لان قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط، ولم يرب بين الشجعان لان أهل مكة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي حرب وخرج أشجع من كل بشر مشى على الارض، قيل لخلف الاحمر: أيما أشجع ؟ عنبسة وبسطام أم علي بن - أبي طالب ؟ - فقال: إنما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر والناس، لامع من يرتفع عن
